

بسم الله الرحمن الرحيم
رياض الصالحين
نماذج من أخلاق السلف مع نسائهم

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب الوصية بالنساء إليكم هذه النماذج من حال السلف الصالح -رضي الله تعالى عنهم-، وما كانوا عليه من الأخلاق والمشاعر الطيبة الرقيقة مع نسائهم، هذا شريح القاضي المشهور يقول في المسألة التي تحدثنا عنها وأوردنا الأحاديث المتعلقة بها فيما يتصل بضرب النساء، يقول:

رأيت رجالاً يضربون نسائهم ***
فشتلتْ يميني حين أضرب زينبًا ***
أضربها من غير ذنب أنت به ***
فما العدلُ مني ضربُ من ليس مذنبًا ***
وزينب شمسٌ و النساء كواكب ***
إذا طلعت لم تُبقَ منهن كوكبًا^(١)

يعني: زوجته، واسمها زينب، وهذه مشاعره نحو زوجته.

هذه مشاعر جدًا راقية تجاه زوجته، فأين هذا من يقبح وهو داخل، ويقبح وهو خارج، ويلقي بالعبارات الجارحة لأخته أو لزوجته أو لبنته أو موليتها؟، والإمام أحمد رحمه الله -ذكر امرأته يوماً فترحم عليها، وقال: مكثنا عشرين سنة ما اختلفنا في كلمة، يقول: ما اختلفنا في كلمة عشرين سنة، يقول من سمع ذلك منه:
وما علمنا أحمد تزوج ثالثة^(٢).

وهذا الزبير بن بكار سئل: منذ كم زوجتك معك؟ قال: لا تسألني، ليست ترد القيمة أكثر كِبَاشًا منها، يقول: صحيت عنها سبعين كبشًا.

وهذا محمد بن عبيد الله المسيحي يرثي امرأته وهو شاعر أمير يقول:

ألا في سبيل الله قلبٌ قطعاً ***
وفادحةٌ لم تُبق للعين مدمعاً ***
أصبراً وقد حلَّ الثرى من أودعها ***
فلله همٌ ما أشد وأوجعاً ***
فيما ليتنى للموت قُدمت قبلها ***
وإلا فليت الموت أذهبنا معاً^(٣)

ومن الناس من يدعوا على امرأته في عرفة بالموت، وقد سمعت هذا من بعضهم في عرفة، يدعوا عليها أن تموت، الناس يسألون الله الجنة والنجاة من النار، وهذا يدعوا على امرأته أن يأخذها الله -عز وجل-، ويريحه منها، هذا فيما يتصل بالوصاة بالنساء، وسيأتي في الباب الذي بعده ما يتعلق بحقوق الرجل على المرأة، وهكذا الشريعة تعتبر فيها حقوق الناس جميعاً، بكل تجرد من الهوى، ولكن من يحركه هوه لا يرضي إلا بما وافق هذا الهوى، ولذلك تجد الإنسان أحياناً الذي يظلم المرأة، ويسلبها حقها ينزع حينما

^١- سير أعلام النبلاء (٤/١٠٦)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٣/٥٣)، ووفيات الأعيان (٢/٤٦٢)، والوافي بالوفيات (١٦/٨٣).

^٢- سير أعلام النبلاء (١١/٣٣٢).

^٣- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٦/٢٥٦٨).

يسمع مثل هذه الأشياء، وأيضاً حينما يسمع أحداً يتحدث عن ضرب النساء، إذا كان يضرب امرأته، وينزعج إذا سمع أحداً يتحدث عن أخذ مال المرأة أو ما أشبه ذلك ويغضب، لاسيما إذا كان النساء يسمعون، فهو لا يتحمل سماع هذا؛ لأنه بزعمه يفسد عليه النساء وأن هذا فيه ميل إلى جانب النساء، وإهمال لجانب الرجل، أيضاً بالمقابل المرأة التي عندها هوى إذا سمعت حق الزوج وما أشبه هذا تزعج، وتقول: تحدثون عن حقوق الأزواج والرجال وتتركون حقوق النساء، وهكذا الذي يقصر في تربية أولاده حينما يسمع عن قضايا التربية للأولاد، وحقوق الأولاد، وما يحصل من الآثار السلبية، والجراح العميق الغائرة في نفوس الأولاد، والأوجاع والأمراض النفسية التي تصيبهم بسبب سوء التربية، هذا الأب ينزعج غاية الانزعاج حينما يسمع ذلك، لاسيما إذا كان الأولاد يسمعون، ويقول: تفسدون علينا الأولاد، تجرّبون الأولاد علينا، يعني: كأنك تقطنهم لحقوقهم، وهو لا يريد هذا، يريدهم صمماً عمياً بكماء، وهذا يحصل، وهكذا الإنسان الذي عنده هوى في الربا مثلاً إذا سمع أحداً يتحدث عن الربا، أو أنه مغناً من المغنيين وحضر خطبة أو محاضرة فسمع الكلام عن هذه القضية ينزعج جداً، فالآهواه تحرك كثيراً من النفوس، فيحتاج الإنسان أن يتجرد، وأن يدور مع أمر الله -عز وجل- حيث دار بصرف النظر عن هواء، فإذا أدرك أن عنده شيئاً من النقص فإنه بهذا يستدرك ويراجع نفسه، ويأسى على تقصيره، ويتحقق، هذا طالب الحق، وأما الذي لا يريد الحق فإنه لا يزيده ذلك إلا إمعاناً في المكابرة، إما أن يقول: أنا لست كذلك، وإما أن يقول: هذا الحديث يفسد علينا ويجرى علينا الزوجات، يجرى علينا الأولاد، وقد كتب لي أحدهم مرة رسالة بهذه، يقول: هذا الكلام إذا سمعه سامع سيجرئ عليه النساء ويجرئ عليه أولاده، لماذا إذا بُين لك أن هؤلاء لهم حقوق، وأنه لا يجوز ظلمهم؟، وهذا من العجائب والغرائب.

أسأل الله -عز وجل- أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، و يجعلنا جميعاً هداة مهتدين، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا وأحوالنا، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.